اسم المصدر: الرياض

التاريـــخ: 02-09-2009 رقم العـدد: 15045 رقم الصفحة: 35 مسلسـل: 185 رقم القصاصة: 1

يا أمير ارصد الباب ولا توصده

د.عثمان محمود الصيني

الذين يتكلمون عن مكافحة الإرهاب وفق ثنائية المناصحة والضرب بيد من حديد يظلمون التجربة السعودية كثيرا لأن هذه الثنائية تقسيم معروف في كل المجالات نراها في مكافحة المخدرات والمخالفات المرورية وغيرها لأنها تقوم على مفهوم التوعية والعقاب

"المعالجة الأمنية والفكرية والاجتماعية والوقفة الوطنية مع أسر وأبناء شهداء الواجب والتعامل الإنساني مع المواطنين المغرر بهم" هذه العناصر كانت محور الحديث الجانبي للأمير محمد بن نايف قبل أن يقدمني لصاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبدالعزيز بعد المؤتمر الصحفي لحج عام ١٤٢٦، وقتها كانت أجواء مكافحة الإرهاب والنجاحات التي حققتها الأجهزة الأمنية طاغية على أحاديث الإعلاميين ومراسلي وسائل الإعلام المحلية والعربية والعالمية إلى جانب أجواء الاستعدادات النهائية للحج، وعلى باب الخروج سألني صحفي يعمل في مكتب رئيس الوزراء التركي عن الأمير محمد بن نايف وأنه يريد أن يعرف أكثر عن مهندس العمليات الأمنية ضد الإرهاب بعد أن سمع عنه كثيرا ورآه للمرة الأولى، وأنه كان يتصور شكله كأحد الجنرالات الضخام وليس بهذه العفوية الإنسانية والبساطة في التعامل.

وقبل أسبوعين تقريبا تحدث وزير الداخلية الأردني نايف بن سعود القاضي عن التجربة السعودية في مكافحة الإرهاب وعن دور الأمير نايف بن عبدالعزيز في صنع نموذج فريد وضعه بين أيدي وزراء الداخلية العرب من واقع الإنجازات الأمنية الكبيرة التي تحققت في السعودية وكيف استفادت منها الدول العربية وغير العربية وعن الجانب الإنساني الذي لمسه من واقع العلاقة الشخصية التي تربطهما، كما كان اللواء وصفي عامر مدير المكتب العربي للإعلام الأمني يتحدث عن تفاصيل حديث الأمير له عندما استوقفه من بين جموع الذين قدموا للسلام عليه منبهرا من سعة صدره في استقبال الجميع بحفاوة ومتابعته الإعلامية الدقيقة والرؤية الشاملة والحصيفة له تجاه التعامل مع الإرهاب والإرهابيين، وكان اللواء وصفي يشيد بالتجربة السعودية التي جمعت بين الحزم والإنسانية، وتطرقنا إلى بعض التجارب العربية التي كانت المعالجة العنيفة سببا لتولد عنف جديد.

الذين يتكلمون عن مكافحة الإرهاب وفق ثنائية المناصحة والضرب بيد من حديد يظلمون التجربة السعودية كثيرا لأن هذه الثنائية تقسيم معروف في كل المجالات نراها في مكافحة المخدرات

اسم المصدر: الرياض

التاريـــخ: 02-09-2009 رقم العـدد: 15045 رقم الصفحة: 35 مسلسـل: 185 رقم القصاصة: 2

والمخالفات المرورية وغيرها لأنها تقوم على مفهوم التوعية والعقاب، لكن فيما يخص التجربة السعودية فإن هناك جانباً إنسانياً يخرج عن هذه الثنائية يتعلق بأسلوب تعامل القيادة مع المطلوبين والمغرر بهم، فالأمير محمد بن نايف استقبل علي عبدالرحمن الفقعسي عام ١٤٢٤ وكان أحد المطلوبين الذين أعلنت عنهم وزارة الداخلية، كما أن اتصالا من الشيخ سفر الحوالي شفاه الله مع الأمير محمد أنهى مشكلة مطلوب أمني من ضمن قائمة التسعة عشر وأعادته إلى حياته وأسرته ووطنه فالتقى سعد ظافر الشهري بالأمير الذي أعطاه خلال اللقاء الوعد بالمعاملة بالحسنى، ويصف الشهري لقاءه الثاني بالأمير بعد خروجه من السجن لجريدة الرياض بقوله: "كان لقاء سهلا ميسرا وكان سموه حريصا على الاستماع لطلباتي ووجه بعلاج إحدى زوجاتي وقدمت لسموه خلال اللقاء عددا من الملاحظات والمقترحات داخل مبنى السجن وكذلك المقترحات الخاصة بإصلاح وضع كثير من الشباب من وجهة نظري"، ولذلك فإن لقاء الأمير محمد بالمطلوبين التائبين الصادقين أكثر فعالية وحسما من الإجراءات المعهودة في كل مكان، ويؤيد ذلك أن سعدا سمى ابنه محمدا المولود في رمضان باسم الأمير.

من المعروف أن الإرهاب لدينا مر بعدة مراحل منذ أن تحولت خلايا تنظيم القاعدة في دول الخليج وبلاد المغرب العربي من المساندة إلى المواجهة في عام ٢٠٠٢ واتسمت عملياتها في بداية الأمر بشعار استهداف غير المسلمين التي سقط فيها عدد من المسلمين الأبرياء من مواطنين وغيرهم، ثم اتجهت إلى محاولة اغتيال رجال الأمن المكلفين بحماية أمن وسلامة هذا البلد إلى استهداف المنشآت الحيوية في المنطقة الشرقية وينبع والمقرات الحكومية كمقر وزارة الداخلية عام ٢٠٠٤، ونجحت الأجهزة الأمنية في إحباط عملياتهم الإرهابية وكشف مخططاتهم وبناء كنز من المعلومات عنهم حتى أصبح مصدرا مهما لكثير من الدول، وكانت وزارة الداخلية قد حذرت بعد غزو العراق من وجود حوالي ٣ آلاف سعودي في العراق عدا الجنسيات الأخرى وخشيتها من استغلال الحماس العاطفي والشعور الديني لدى الشباب في تجنيدهم ضد وطنهم من القاعدة، ولم تتعاون بعض الدول المجاورة مع التحذيرات السعودية حتى اكتوت بنار الإرهاب، في الوقت الذي استطاعت فيه السعودية أن تستوعب عددا منهم وتعيدهم إلى أسرهم ووطنهم تائبين آيبين، وبعد انحسار مد القاعدة في العراق اتجه نفر من الفئة الضالة إلى اليمن والصومال وغيرها مزودين بالأيديولوجيا والخبرة والتدريب والأحزمة الناسفة يخططون لأعمال إرهابية ضد بلدهم ووطنهم، وهو ماعبر عنه الأمير نايف بقوله: "الأمور قد تتغير وقد تزيد أكثر ليس من حيث الكم وإنما من حيث النوع".

ستستمر بطبيعة الحال برامج المناصحة وكذلك الضربات الأمنية لكن يظل التعامل الإنساني في المعادلة السعودية أمرا مميزا ومستمرا حسبما أكده الأمير نايف في احتفال مجتمع الأعمال في جدة بأن "التوجه الأمني والأسلوب الذي تتبعه الدولة في الإصلاح لن يتغير بحدث"، وطبقه فعليا الأمير محمد بن نايف الذي لم تمنعه حادثة محاولة الاغتيال الآثمة وزحمة المهنئين بسلامته من الرد على اتصالات أسر وأبناء شهداء الواجب الذين أرادوا الاطمئنان عليه فور خروجه من المستشفى وهم أكثر الناس فجيعة ومصابا بجرائم الإرهابيين، مستشعرين بأن الأمير كان لهم الأخ والأب والابن والصديق طوال الوقت وسيظل كذلك، كما سيظل مصدر ثقة وطمأنينة للتائبين الصادقين الذي يحرصون على لقائه وإعلان تراجعهم عن أفكارهم التكفيرية بين يديه، كما سيظل سندا لرجال الأمن الذين يعلمون كما قال الأمير نايف بأنهم "عرضة لأي شيء ولن يتردد هؤلاء المجرمون في أن يفعلوا أي شيء يستطيعون أن يفعلوه فليس في قلوبهم دين ولا مواطنة ولاخوف من الله" كما سيكون المهندس الأمين الذي ينفذ توجيهات خادم الحرمين الشريفين وولي عهده الأمين والنائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء وزير الداخلية فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين.